من

أعلام الفكر والأدب

في فلسطين

يعقوب العودات

(البدوي الأشقر)

الطبعة الثانية
١٩٨٧

حقوق اعادة الطبع محفوظة لورثة المؤلف

رقم الإيداع لدى مديرية
المكتبات والوثائق الوطنية
٤٨١ / ١٢ / ١٩٨٦

الناشر :
وكالة التوزيع الأردنية
عمان ـ هاتف ٢ / ٦٣٠١٩١

ط

الطاهر (محمد علي) *

١٨٩٦ - ١٩٧٤

ولد (أبو الحسن) في نابلس عام ١٨٩٦ ، وتلقى تعليمه الابتدائي والاعدادي في مدارسها الأميرية ، وفي الحرب العالمية الأولى أودع معتقل الجيزة عام ١٩١٥ وظل يبلو الشدائد في معتقله حتى وضعت الحرب العالمية أوزارها .

وبعد زوال شبح الحرب الكبرى عاد الى فلسطين ليعمل في بلاده ، لكن ظلم الانكليز حمله على الهجرة لمصر ، دارة الأحرار ، ليشرح ظلامة فلسطين وليكشف عن الدوايا الخبيثة التي يضمرها المستعمر لتهويد البلاد المقدسة وطرد أصحابها الشرعيين منها وقذفهم الى الصحراء حطابين وسقاة ماء .

وليتمكن من مناجزة الخصم الغشوم نال امتيازا باسم جريدة (الشورى) ، وصدر العدد الأول منها في القاهرة بتاريخ ٢٢ تشرين الأول ١٩٢٤ ، فكانت هذه الصحيفة وبالا على الاستعمار وزبانيته ، وجريدة العالمين الاسلامي والعربي ولسان الثورة السورية في آفاق الارض حين كانت صحف سورية ولبنان مكممة خائفة من فرنسا . لكن المستعمرين تنبهوا لهذه الصحيفة الخطرة فحاربوها سرا وجهرا ومنعوا دخولها الأقطار العربية والأسلامية الواقعة تحت النفوذ البريطانـــي والفرنسي والايطالي .

وتغلبا على منع جريدته ومصادرة أعدادها عمد الى اصدار « الشورى » بأسماء أخرى منها : « الرقيب » ، « المنهاج » ، « الناس » ، « الجديد » ، « الشباب » ، «العلم المصري» . ولم يكن هذا الوطني المؤمن في جهاده مقتصرا على قضيتي فلسطين ومصر ، بل تجاوز التخوم الى الدفاع بحرارةعن قضايا العالمين العربي والاسلامي وقبل اصدار (الشورى) وبعد نشر عشرات المقالات في صحف البلاد العربية والمهجر دفاعا عن وطنه المغصوب وأمته المشردة .

وفي الحرب العالمية الثانية جمدت السلطات البريطانية في مصر نشاطه بداعي نشوب حرب كبرى ، فاحس بالشر المبيت له ، وأوقف من توه جريدة (العلم المصري) التي أصدرها بدلا من (الشورى) وحـل (اللجنة الفلسطينية) وكف عن نشاطه السياسي .

لكن الانكليز طلبوا من علي ماهر (باشا) رئيس الوزارة المصرية في ذلك الحين اعتقال (الطاهر) وسجنه ، لكن (ماهرا) رفض طلبهم فحنقوا عليه وأسقطوا وزارته وعهدوا بتأليفها الى حسين صبري (باشا) .

وبعد أن عطلت السلطات المصرية (الشورى) اصدر جريدة (الجديد) لصاحبها المرحوم الدكتور محمود عزمي ، فبادرت السلطات المسؤولة الى تعطيلها ، فأصدر بدلا منها مجلة (الشباب) لصاحبها الدكتور محمـود عزمي ، لـكن السلطات المصريـة عاجلتهـا بالتعطيل .

وتدليلا على شمم (الجيل القديم) وأريحيته أسجل للتاريخ نص الرسالة التي وجهها الدكتور عزمي الى صاحب (الشورى) متنازلا عن امتياز (الشباب) وقبلها (الجديد) :

« الشباب

* توفي ببيروت في ٣١ آب سنة ١٩٧٤ .

الطاهر

أسبوعية للسياسة والثقافة

يديرها محمود عزمي

٣ ميدان سوارس بالقاهرة

في ٢٣ يناير ١٩٣٧

أخي وعزيزي الأستاذ محمد علي الطاهر

ماأشبه الليلة بالبارحة ، في سنة ١٩٢٦ حيل بينك وبين اصدار جريدتك الجريئة الصادقة (الشورى) وكان (الجديد) لي فقدمته لك تصدره كما تشاء حتى لايسكت صوتك المدافع عن الحقوق العربية جميعا • واليوم يحال دون استئناف جهادك بالامتنـــاع عن استئناف التصريح لك باصدار (الشورى) ، ولدي مجلة (الشباب) فابادر بتقديمها اليك تصدرهاوتشرف على تحريرها وادارتها بمطلق حريتك دفاعا عن الحقوق العربية التي تعرف قدر شغفي بتأييدها وتدعيمها ، وبمطلق تصرفك فيما يتصل بايراداتها ومصروفاتها ، راجيا أن أساهم بهذا بعض المساهمة في نصرة القضية العربية الكبرى •

وفي طي هذا كتابان أحدهما لمصلحة الصحافـــة والنشر والثقافة وثانيهما لمصلحة البريد متصلان بتنفيذ وضعي (الشباب) تحت تصرفك ، أرجو أن تتفضل بابلاغهما الى جهتي الاختصاص •

وعد يا (أبا الحسن) الى جهادك الصحفي المقدور في سبيل العروبة والحرية • »

في خريف عام ١٩٤٠ أوعزت السلطات البريطانية في مصر بالقبض على محمد علي الطاهر وحجزه وفي ١٤ نيسان ١٩٤١ ارتدى لباس (ابن البلد) وغافل الحرس متنكرا وهرب من مستشفى السجن واختفى حوالي السنة ، متنقلا بين المنصورة وطنطا ودمنهور والاسكندرية ودمياط والسويس ، وأخيرا استقر في المنصورة وسكن غرفة في حي قديم باسم (محمد الناجي) وطبع بطاقات باسمه الجديد ، وفي سمنود اتخذ اسما آخر هو (يعقوب البخاري) •

وفي ٥ شباط ١٩٤٣ حمل الانكليز الملك فاروقا على اقالة حكومة سري (باشا) وعهد الى مصطفى النحاس (باشا) بتأليف وزارة جديدة ، ونظرا للعلاقات الطيبة التي كانت تربط صاحب (الشورى) بالنحاس (باشا) وبالدكتور محمد صلاح الدين بك سكرتير عام مجلس الوزراء ، بارح محطة المنصورة بالقطار عن طريق طنطا ، وبلغ ميدان باب الحديد بالقاهرة بزي صعيدي ونزل بفندق مجاور لسوق السمك ينزل به فقراء الصعايدة ، وسجل اسمه في دفتر الفندق باسم (محمد ناصر ــ تاجر غلال من كفر الغاب بمركز شربين) •

وبعد أن نفض عن جلابيته غبار السفر نزع العمامة عن رأسه وفك حزامه وكان في الأصل كوفية ، وسحب من عبه عقالا جعله فوق الكوفية وألقى عباءة عتيقة على كتفه ورباطا على عينه اليسرى ، وتوجه الى باب الحديد بزي بدوي ، وامتطى سيارة أجرة فخمة وصل بها الى بيت قريب له في حي السكاكيني ، وهناك أخذ عباءة اصفهانية فخمة كان أودعها دار قريبه ، واستانف سيره الى دار رئاسة الوزراء ودخلها بشكل أمير عربي ذي شأن ••• وهنا وقف الحراس وأدوا التحية للأمير الخطير • واغتنم « أبو الحسن » هذا الموقف فصعد الدرج المؤدي الى مكتب رئيس الوزراء ومكاتب السكرتيرية ، وأوهم رئيس حجاب دار الرئاسة أنه على موعد مع صديقه الحميم الدكتور محمد صلاح الدين بك سكرتير عام مجلس الوزراء • لكن رئيس الحجاب أجاب الأمير العربي بان الدكتور محمد صلاح مريض منذ أمس ، فرد الأمير ــ الطاهر بقوله : « أن الدكتور سياتي لمقابلتي بالرغم من مرضة أو أنه كلف أحد مساعديه بانتظاري » •

ولما بلغ الأستاذ (الطاهر) الطابق الأعلى وأشرف على البهو الكبير الذي تقع فيه مكاتب الرياسة كان رئيس الحجاب لايزال بجانبه وهو يصعد معه كتفا الى كتف تقريبا • ولما رأى الحرس والحجاب رئيسهم يزامل الضيف بتواضع وهو يصعد متأخرا عنه بمسافة درجة ظنوا أنه يعرف مكانة الأمير ، فلم يسعهم الا الوقوف وأداء التحية العسكرية ، فاجابهم عنها بحركة بطيئة متزنة ، ووقف في آخر البهو ، وطلب من رئيس الحجاب أن يستأذن له بالدخول على مساعد الدكتور محمد صلاح الدين ، ولم يكن الاستئذان غرضه ، بل قصد من ذلك

الطاهر

أن يفتح له أي باب ليدخل ويبتعد عن عيون الشرطة والحرس ، ولا سيما أن النحاس (باشا) رئيس الوزراء يوشك أن يصل ، وأمامه حرسه المسلح ومعظمه من رجال البوليس السري • ولما فتح رئيس الحجاب الباب القريب التحم الأستاذ الطاهر الغرفة ، فوجد موظفا لا يعرفه فعاجله بقوله : انني على موعد مع الدكتور محمد صلاح الدين بك ، فوقف الموظف وقال : « انه مريض وأنا سكرتيره الخاص ، فقال : أريد مقابلة نائبه • فقال : انه شقيقه الدكتور ابراهيم عز الدين • ومشى السكرتير الى مكتب النائب مصحوبا بالأمير العربي ثم فتح بابا أدى الى غرفة واسعة يجلس في ركن منها بعض الأشخاص ، فطلب (الطاهر) محادثة الدكتور ابراهيم عز الدين ، فنهض من بينهم شاب لطيف الشمائل وقال : أنا هو • فاجابه الأمير : كنت أود الاجتماع بشقيقك ولكنه لم يأت بسبب مرضه ، فهل لك أن تستقبلني نيابة عنه وأن نكونا وحدنا ؟ وهنا نهض الزوار وغادروا الغرفة •

ولما أصبحا وحيدين رجا (الطاهر) الدكتور ابراهيم أن يمنع دخول أحد لمدة عشر دقائق وصارحه بقوله : « لست شيخا عربيا كما تراني ••• بل أنا الفندي متنكر ، واسمي (فلان) ومهنتي (كذا) ، وأنا صديق لشقيقك الدكتور محمد صلاح الدين بك الذي مرض اليوم لسوء حظي — ورجائي أن تقوم أنت بما كان شقيقك ان يقوم به من أجلي • فأبدى الدكتور ابراهيم استعداده لمساعدته •

وهنا صارحه الأستاذ (الطاهر) بهربه من السجن وقدومه الى رئاسة الوزراء ليسلم نفسه الى رئيس الوزراء ، ورجاه الذهاب الى النحاس (باشا) حالما يصل الى مكتبه ويخبره بالأمر ، والأذن منه بالدخول عليه قبل أن يجتمع بالصحفيين ويلقي خطابه السياسي في المذياع •

ذهب الدكتور ابراهيم الى مكتب أمين عثمان (باشا) وكشف عن حقيقة اللاجيء ثم عاد الى الأستاذ (الطاهر) وقاده الى مكتب أمين عثمان ، فقابله هذا بابتسامة لطيفة ••• وقص عليه صاحب (الشورى) قصته بايجاز ، وما لبث أمين عثمان أن دخل على النحاس (باشا) وروى له ما وقع ••• فقال النحاس : « أين هو الأستاذ (الطاهر) الآن ؟ وهنا اقتحم (الطاهر) مكتب النحاس واحتضنه وقبله وهو يضحك منتعشا وقال لرفعته : اني آت لأسلم نفسي الى الزعيم المجاهد لا الى رئيس الوزراء ، وأما أسلافك الذين كانوا على هذا الكرسي فكنت أفر منهم • فرحب به النحاس (باشا) وطيب خاطره بكلمات رقيقة وطلب اليه التزام الهدوء ، وكلف أمين عثمان (باشا) الاتصال بالجهات المختصة وابلاغها أن النحاس (باشا) أطلق سراح الأستاذ الطاهر ، وسيخرج الى بيته حرا طليقا ، وان اعترض خصومه على هذا الأجراء فقل لهم انني لا أستطيع وضعه في السجن ، بل سآخذه الى بيتي فينام عندي وفي الصباح أجيء به معي الى رياسة الوزراء فيقضي سحابة يومه فيها ، وهكذا كل يوم ، فليختاروا أحد الأمرين •

أبلغ أمين عثمان الحاكمين من وراء الستار رغبة النحاس (باشا) فاستقط في أيديهم وعاد الأستاذ (الطاهر) الى عشه آمنا مطمئنا •

وفي شهر تموز ١٩٤٩ أصدر ابراهيم عبد الهادي (باشا) بوصفه رئيس الوزراء والحاكم العسكري العام أمرا عسكريا باعتقال الأستاذ (الطاهر) وايداعه معتقل هاكستب البريطاني القائم في صحراء السويس •

وفي ١٠ اغسطس ١٩٤٩ أصدر حسين سري (باشا) رئيس الوزراء والحاكم العسكري العام أمرا بالافراج عنه فغادر المعتقل وأسلاكه الشائكة الى منزله بالقاهرة •

وفي شهر نيسان ١٩٥٥ غادر صاحب (الشورى) مصر الى بيروت بعد أن عاش في القاهرة (٤٠) عاما تخللها عذاب وجهاد وصراع مع الاستعمار وأعوانه ، وسجون واعتقالات ونفي وبؤس مع تنكر وتجهم من أقرب الناس واحبهم ومن أسوئهم وأشرهم •

من آثاره القلمية :

١ — نظرات الشورى — ظهر هذا الكتاب في حزيران ١٩٣٢ في ٢٧٠ صفحة وهو فصول وملاحظات

الظاهر

وخواطر عن العالم الاسلامي وأحواله ومجريات الحالة في فلسطين في تلك الأيام ٠

٢ ـ ذكرى الأمير شكيب أرسلان ـ ظهر هذا الكتاب في تموز ١٩٤٧ في ٥٥٠ صفحة وهو يضم وصف وفاة فقيد العرب الكبير ، وصداها في أنحاء العالم العربي ، وحفلات التأبين في المشرق والمغرب وأقوال الصحف والمجلات ومراثي الكتاب والشعراء

٣ ـ أوراق مجموعة : ظهر هذا الكتاب في نيسان ١٩٤٨ في ٥٢٠ صفحة وفيه يصف حالة فلسطين قبيل أن يتخلى (المنقذون) عنها ، وكيف كان أهلها يستبسلون في الدفاع عنها مع تصوير اجمالي لفظائع الانكليز وغدر اليهود ٠

٤ ـ معتقل عاكستب : ظهر هذا الكتاب في عام ١٩٥٠ في (٧٠٠) صفحة وهو يضم وصفا لاعتقال صاحب (الشورى) للمرة الثالثة ، مع أخبار وأسرار نكبات الوطن العربي ونكبة فلسطين وأسبابها ٠

٥ ـ ظلام السجن ـ ظهر هذا الكتاب في عام ١٩٥١ في (٩٠٠) صفحة وهو يضم مذكرات عن حياة السجن التي كان فيه المؤلف عام ١٩٤٠ ، مع وصف حالة الهارب من السجون وبطش الظالمين من أجانب وعرب ، ونظرات في حالة العالم الاسلامي ودنيا العرب ، والاشارة الى المسؤولين عن النكبة الفلسطينية ٠

* * *